لم تسقط بغداد

فؤاد الحاج/صحفي يقيم في أستراليا

غدا سيذكر التاريخ أن بغداد سقطت بعد أن استباحها المغول في 1258م، ومرة أخرى سقطت بغداد بعد استباحتها في بداية القرن الواحد والعشرين على يد التتار الجديد بقيادة جورج بوش الابن وعصابته.. كما سيذكر التاريخ أيضا أنه بعد استباحة بغداد في التاسع من نيسان/إبريل 2003م فقد أدار العراق مافيا منظمة تشرف على الدعارة وتجارة المخدرات والقتل، وقد شكل هذا الوضع حركة إرباك لأنظمة الذل والهوان العربية التي ساندت العدوان ضد بلد عربي بسبب خلافات هذه الأنظمة الشخصية مع نظام العراق.

ومهما كان منطق الذرائع والمبررات التي لا توجد نهاية لها فأن كل القوى السياسية العربية بكل اتجاهاتها وأطيافها ستحاسب أمام التاريخ على عدم قيامها بأي عمل إيجابي وفعال لصد العدوان والغزو البربري الأمريكي على العراق. لأن المستهدف ليس الرئيس صدام حسين شخصيا، بل المستهدف هو الفكر العربي القومي الوطني في العراق، كما أن المستهدف في هذا الغزو الإجرامي هو التقدم العربي والمشروع النهضوي العربي والمستقبل العربي بكل معنى الكلمة، فكما أنه لا يمكن لكل هؤلاء التعامل مع حدث تاريخي جسيم كالعدوان على العراق وغزوه من منطلق أن (النظام استبدادي)، أو أن الأنظمة منعتهم بالقوة من القيام بالواجب القومي، فالجدلية التحليلية هنا لا تصح على المواقف المبدئية، ولا يصح أن تقبل الجماهير هذه التبريرات التي تحاول قوى الشر الأمريكية الصهيونية تمريرها من خلال بعض الفضائيات ووسائل الإعلام التي تحمل أسماء عربية، من خلال بعض الذين يسمونهم في تلك الفضائيات أنهم محللون سياسيون أو خبراء استراتيجيون، بل الكلمة التي ينبغي أن تقال لكل هؤلاء أنهم انتهازيون من أسوأ نوع، خاصة بعد أن أصبح الاستعمار الأمريكي الصهيوني يحط الآن بكل قواه العدوانية الشريرة على الوطن العربي.

فهل يمكن القول أن عجز القوى العربية التحررية في الحفاظ على الاستقلال الذي ضحت من أجله الملايين هو السبب في ذلك الانهيار الوطني والقومي؟!.. أم أن هذه القوى لم تستطع أن تواكب التطورات العربية والعالمية وتفرز قيادات جديدة لمتابعة طريق الحفاظ على الاستقلال عندما خضعت في مضامينها للإرادة الاستعمارية فقبلت بتجزئة الأمة العربية وتمزيقها إلى كيانات لا حول لها ولا قوة؟!

وهل يمكن القول أن الطائفية كانت ولا زالت ملاذ الهاربين من القضايا القومية المصيرية، هي التي ساهمت في تراجع المد القومي العربي؟!.. في وقت تواجه فيه الأمة العربية تواجدا استعماريا مباشرا؟!.. بعد أن بتنا نرى الجندي الأمريكي الرابض في البلاد العربية بزيه وسلاحه ويهتك الأعراض وينهب الخيرات والثروات.. فالعدو لم يعد متخفيا في شركة متعددة الجنسيات، إنه يرتدي الزي العسكري الأمريكي والبريطاني والأسترالي علناً ويحمل السلاح لحماية عروش كانت آيلة للسقوط وقيادات طائفية وعشائرية كانت في طريقها إلى الزوال أيضا!.

وكي لا يقال أن القوى العربية المختلفة لم تساهم في عملية التحرر القومي، مطلوب منها الآن وليس غداً أن تبادر إلى عقد لقاء موسع في أي مكان من البلاد العربية وتحديداً في لبنان أو في سوريا أو في ليبيا إذا سُمح لهم ودون ضغوط من أي كان، من أجل مراجعة دورها التاريخي والوقوف عند المحطات الإيجابية والسلبية معاً للاستفادة منها في تقييم المرحلة، والعمل على إيجاد صيغ نضالية لإجبار القوات الأمريكية والبريطانية والأسترالية والبولندية على الجلاء والانسحاب فوراً من كافة الأراضي العربية، واعتبار الوجود العسكري المتمثل بالقواعد والأساطيل والقوات والتسهيلات والمناورات، احتلالاً سافراً للأرض والمياه والأجواء القومية، وتهديداً للأمن القومي واستنزافاً للثروة العربية.

وإن لم يكن بالإمكان عقد مثل هذا اللقاء الموسع يجب على كل مجموعة من القوى الحية في الوطن العربي الكبير من حدود المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي شرقاً ومن حدود جبال طوروس شمالاً إلى حدود الصحراء الكبرى جنوباً، على الأقل أن تلتقي لبحث مثل ما تقدم وممارسة جميع الصيغ النضالية في هذه المرحلة، كما أنه مطلوب من قوى الخير ومشاعل القومية الموزعة هنا

وهناك، في هذا البلد العربي أو ذاك، التي عليها أن تبادر إلى عقد مثل اللقاء الموسع لتوحيد قدراتها وطاقاتها في مواجهة مرحلة الاستعمار الأمريكي الصهيوني، لأن القوى الحية في تاريخ الأمة العربية أمام امتحان تاريخي حاسم يمس حاضر العروبة ومستقبل أجيالها، ولم يعد يكفي إصدار بيان ومقررات لا ترتقي إلى مستوى التحديات الخطيرة التي يمثلها المخطط التآمري الأمريكي الصهيوني، بل المطلوب إجراءات وتدابير عملية حازمة، تتعالى على حالة العجز والضعف التي انتابت النظام الرسمي العربي وعطلت قدرات الأمة العربية التي كان من المفترض أن تحشد لدحر المؤامرة الأمريكية الصهيونية، وحماية الحقوق الوطنية والقومية، والطُموح المشروع لجماهير الأمة في بناء مجتمع الوحدة والحرية والتقدم والنهوض القومي.

وأخيراً نقول أن التاريخ سيذكر أن بغداد لم تسقط بل أن الأنظمة العربية والنظريات القطرية هي التي سقطت..